



نظام العزابة ودوره في تأمين التماسك الاجتماعي للمجتمع الإباضي في منطقة وادي ميزاب.

ط.د/ حشاني أحمد

المدرسة العليا للعلوم السياسية- الجزائر

hamadahachani47@gmail.com

الملخص

تستهدف هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على أهم التجارب التي يعيشها المجتمع الميزابي الإباضي الذي هو جزء لا يتجزأ من المجتمع الجزائري، وهي تجربة نظام العزابة والتي تُعد من بين أبرز وأنجع التجارب التي وجب الاهتمام بها من قبل الباحثين والمختصين لأنه أمر يجلبه الكثير من الجزائريين، فحلقة العزابة تعد من أحد أهم الأنظمة الدينية والاجتماعية التي يختص بها المجتمع الميزابي، وهي هيئة دينية عرفية ذات طابع خاص " تجربة فريدة " والتي أسسها الشيخ: "أبو عبد الله الفرسطاني". فنظام العزابة وحلقته أو الهيئة أو المجلس؛ كلها مصطلحات تستعمل في المراجع كمرادفات لمراحل تطور نظام العزابة هذا الأخير ذو الطابع الاجتماعي والديني الفريد من نوعه، والذي استطاع تحويل المجتمع الميزابي إلى أسرة مصغرة ذات شأن واهتمام موحد. وقد تمّ توصيف هذا النسق المتميز من قبل الباحث "إدوارد كوروس" قائلا: العزابة هيئة عرفية موجودة في منطقة ميزاب منذ أزل بعيد، وهي نظام اجتماعي متكامل يقوم بالإشراف على شؤون المجتمع في مختلف الأصعدة ومناحي الحياة اجتماعيا واقتصاديا، دينيا وثقافيا تربويا وتوعويا، فالعزابة بمثابة القدوة والركيزة للمجتمع الإباضي انطلاقا من دورها الجوهرية في الحفاظ عليه وتأمين تماسكه واستقراره في وجه التحديات التي فرضتها قيم العولمة والحضارة، فقد قادته ووجهته وحمته لسنوات طويلة ولا زالت تؤمن التماسك الاجتماعي والثقافي من خلال دورها الحضاري، الاجتماعي، الديني والتربوي، التوعوي ليومنا هذا، صامدة في وجه التغيرات والتحولت التي مسّت مختلف مناحي الحياة.

الكلمات المفتاحية: وادي ميزاب ؛ نظام العزابة؛ المجتمع الإباضي؛ الدور؛ التماسك المجتمعي.

Abstract

This paper aims to shed light on the most important experiences of the Ibadi community, which is an integral part of the Algerian society. It is the experience of the system of isolation which is one of the most prominent and effective experiences that have to be paid attention by researchers and specialists because it is unknown to many Algerians. Is one of the most important religious and social systems of the Muzabbi community, a religious body of a special character "unique experience" founded by Sheikh: "Abu Abdullah Al-Farsaiti." The system of celibacy and its circus, body or board are all terms used in the references as synonyms for the stages of development of the system of celibacy, the latter of a unique social and religious nature, which has managed to transform the Muzzabi community into a small family of great interest and unity. This is characterized by the distinctive format by the researcher, "Edward Koos," saying: The family is a customary body located in the area of Mzab since long ago is an integrated social system that oversees the affairs of society at various levels and aspects of life socially and economically, religiously and culturally and educationally educational, The foundation of the Ibadi society, based on its essential role in preserving it and ensuring its cohesion and stability in the face of the challenges imposed by the values of globalization and civilization, has led and directed it for many years and still believes in social and cultural cohesion through its cultural, social, J, awareness of this day, steadfast in the face of changes and transformations that touched different walks of life.

Keywords: system of celibacy, conception, Ibadi society, role, community cohesion.

مقدمة:

يُعدُّ نظام العزابة من أهم الأنظمة الدينية والاجتماعية عراقية وأصالة في الجزائر ، وهو من أبرز السمات التي يتّسم بها المجتمع الإباضي الميزابي¹ بالجنوب الجزائري، وأكثرها نظام العزابة. وقد حافظ على تطوره وبقائه طيلة عقود من الزمن منذ تكوينه لغاية الآن صامدا مستمرا في وجه التحديات. وحلقة العزابة من بين أبرز الركائز التي يقوم عليها المجتمع الميزابي، والتي تشكل حلقة وصل بين الماضي العريق والحاضر المعولم.

إنّ التحدث عن حلقة العزابة في المجتمع الميزابي بالجنوب الجزائري؛ إنما هو حديث عن الدين والثقافة الإسلامية وتعليم القرآن حفظا وتلقينا، وحديثا عن العبادة والزهد ونشر تعاليم الدين الحنيف وخدمة الصالح العام وتحقيق المسؤولية الجماعية وتنمية روح التعاون والتكافل والتضامن بين أفراد المجتمع الواحد ليصبح كلا متكاملا صامدا متحديا العقبات التي واجهت الأمة الإسلامية.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم العزابة كنظام اجتماعي عريق ومتجذر في قلب التاريخ الميزابي، كما تم التطرق لدورها في خدمة وتأمين التماسك الاجتماعي للمجتمع الإباضي المزابي في خضم التطورات الراهنة، ودورها الفعال في الحفاظ على تعاليم الدين الإسلامي والتعلم القرآني خاصة، وتأثيرها على مختلف مجالات الحياة. ومن خلال ما تقدّم؛ تتّضح إشكالية البحث في التساؤل الآتي:

- فيما يكمن دور حلقة العزابة في تأمين التماسك المجتمعي الميزابي؟ وإلى أي مدى استطاعت الصمود في وجه المتغيرات الحالية التي يشهدها المجتمع الميزابي؟
- ولمحاولة الإجابة عن هاته الإشكالية؛ سيتم التطرق للعناصر التالية:
- المحور الأول: الاطار المفاهيمي لحلقة العزابة: النشأة والتسمية.
- المحور الثاني: ودور حلقة العزابة في تأمين التماسك الاجتماعي الميزابي.

1 تجدر الإشارة عند استخدام مصطلح المجتمع الإباضي، أنه يقصد من ورائه المذهب الفقهي المتبع، مثلا كالمذهب المالكي، وهذا على غرار استعمال مفهوم المجتمع الميزابي؛ نسبة إلى وادي ميزاب المنطقة التي يقطنها الميزابيون.

- المحور الأول: الإطار المفاهيمي لحلقة العزابة: النشأة والتسمية.

تُعدُّ حلقة العزابة من أهم وأسى الهيئات الدينية والاجتماعية لميزاب، والمؤسسون لهذا النظام يطلق عليهم من قبل العامة الميزابين باسم: إغزَابُن كهيئة واحدة، والفرد يطلق عليه: أَعزَابُ، فهي تضم مجموعة من خيرة العلماء والمفكرين وأهل الرأي والاختصاص من الأمة، ومن بين المهام المسندة للحلقة أنها تقوم بالإشراف الكامل على مختلف شؤون المجتمع الميزابي دينيا وتعليميا واجتماعيا، سياسيا واقتصاديا وتسعى للمحافظة على تماسكه وبقاءه.¹

أما عن أصل كلمة العزابة، فهي مشتقة من لفظ العزوب عن زخارف الدنيا وملذاتها، ولا يقصد هنا الرهبانية، ذلك أن أفراد الهيئة يتزوجون وينجبون ويأسسون عائلات محافظة على تعاليم الدين الإسلامي، فنقول عزب فلان عن الشيء أي ابتعد واجتنب وانفرد وغاب، وهي بمعنى العزلة والغربة لخدمة الصالح العام، وهي كلها مفاهيم تشير للعزلة والتصوف والانقطاع والانشغال بعبادة الله والتفرغ لخدمة المصلحة العامة من خلال الاهتمام بالتعليم والتربية، وبذلك يشكل أفراد العزابة القدوة والمثل للأخريين في حسن التعامل والنزاهة والمصادقية وسداد الرأي واتباع تعاليم الدين الإسلامي.²

ولعل السبب الحقيقي وراء إطلاق كلمة "العزابة" على الهيئة الدينية الشرعية الإباضية غير معروف ومتفق عليه بين جموع الباحثين الذين اهتموا بتحليل وتفسير هذا النسق من الأنظمة الاجتماعية الأكثر استقرارا وثباتا في العالم، بحيث يمكن ارجاع أصل التسمية كما أشارت بعض الروايات إلى العزوب وعزوف الشخص عن مشاغل الدنيا الفانية والتصوف والتهجد والبُعد عن ملذات الحياة ومشاغلهما والإعراض عن حظوظ النفس والهوى؛ فعضو حلقة العزابة شغله الشاغل الاهتمام والتفاني والإخلاص في خدمة مجتمعه وأمته.

1 صالح بن عمر اسماعوي : نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية في وادي ميزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1986-1987، ص ص 08-13.

2 المرجع نفسه، ص 53 وما بعدها.

ويعود تاريخ نشأة حلقة العزابة إلى عام 409هـ/1018م من قبل الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي النفوسي*، الذي توفي سنة 440هـ/1049م، في قصر بلدة أعمر (ينتمي حالياً لولاية توقرت بالجنوب الجزائري)، وكانت آنذاك منطقة يقطنها الإباضية، أين نشأت حلقة العزابة بغار يسمى " تينسلي " من نفس البلدة؛ وهو غار تمّ اختياره خصيصاً لبدء العمل بنظام العزابة، الذي تمخض عن اعتزال دام لمدة أربعة أشهر؛ فالاعتكاف والابتعاد عن ملذات الحياة من شروط وضوابط العزب عن الدنيا والتفرغ التام لخدمة كتاب الله ودينه والمساهمة في تنشئة المجتمع على القيم القرآنية والمنهج الرباني، استناداً لتعاليم الشريعة الإسلامية وقد قام بوضع نظام دقيق يشبه الدستور وهو ما عرف بنظام العزابة أو حلقة العزابة، والذي يعتبر من أقدم القوانين التي تمّ تأسيسها في المجتمعات الإسلامية لتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية بين تجمعات الإباضية للمحافظة على بقائهم وتماسكهم وبناء حضارتهم¹.

هذا وقد تمت الإشارة لمفهوم "العزابة" في معجم المصطلحات الإباضية، بأنه: "نظام العزابة وحلقة العزابة وهيئة العزابة ومجلس العزابة كلها مصطلحات تستعمل في المراجع مترادفات، وهي في أصلها تمثل مراحل تطور هذا النظام عبر مختلف العصور ليصل إلى ما هو عليه اليوم". وقد ورد في أحد المعاجم أن: " الحلقة بدأت تربية علمية محضة، بحيث يجلس التلاميذ إلى شيخهم في شكل حلقة دائرية. ويبدو أن هذا النظام سرعان ما تطور ليصبح بمثابة نظام اجتماعي سياسي للجماعات الإباضية في مناطقها ببلاد المغرب الأدنى والأوسط (في تلك الأزمنة)، أما مصطلح العزابة فأطلق على تلاميذ الحلقة، ثم اقتصر على شيوخ الحلقة بعد ذلك"².

* هو أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرستائي النفوسي(ت. 440هـ/1049م). ولد بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة، شرقي مدينة كباو، من مديرية الحرابية، وبعد الشيخ أبا بكر أحد أقطاب الإباضية في المغرب، ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين، وهو مؤسس حلقة العزابة المشهورة.

1 إبراهيم بحاز، القيم القرآنية في المجتمع المزابي: العزابة نموذجاً، متوفر على الرابط:

<http://www.ayanemzabghardaia.org>

2 إبراهيم بحاز وآخرون، معجم المصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2008، ج2، ص ص 700-701.

وتشير كلمة الحلقة إلى هيئة العزابة وهي من مرادفاتها، واشتقت هذه الكلمة من التحلّق، وهو الاستدارة، وذلك أن العزابة في اجتماعاتهم الرسمية يجلسون على هيئة حلقة أو دائرة؛ وهو أنسب وضع لتبادل الآراء ودراسة مختلف المشاكل ومحاولة إيجاد حلول لها.¹

بدأ نظام العزابة نظاماً تعليمياً دينياً محظاً، ليتطور مع مرور الوقت إثر انتقاله من وادي ربيع إلى واد ميزاب، ليشكل نظاماً شاملاً ودقيقاً مبنياً على أسس متينة مما ساعده على البقاء والاستقرار والتجذر، ليختص بكل مجالات الحياة الفردية والاجتماعية، ويصبح كلا متكاملًا ولبنة أساسية يستند عليها المجتمع الميزابي، فالعزابة حلقة أو هيئة تخضع لضوابط وشروط معينة لخدمة المجتمع الإباضي والإشراف على مختلف شؤونه الدينية والاجتماعية والسياسية، والعزابة نظام يمثله الإمام الذي يقوم بعدة أدوار، والتي يجب توفر شروط معينة في الشخص لكي يكون عزاباً وللالتحاق بحلقة العزابة وجب توافر بعض الشروط منها:²

- أن يكون الفرد بالغاً ومسلماً، يتحلّى بالأخلاق الفاضلة ومتديناً وفقهياً؛
- أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى، ومبدياً الرغبة التامة في التعلم والاستزادة من علوم الدين؛
- يجب أن يكون متزوجاً ليحصن نفسه، ومتديناً وعفيفاً طاهراً ونقي السريرة؛
- أن يشتغل بحرفة ما لكسب قوت يومه، فأعضاء العزابة لا يتقاضون أجراً وإنما يبتغون في عملهم الأجر والثواب؛
- أن يتسم بالتقوى والصلاح والاستقامة، وأن يكون كيساً سديداً الرأي ونافذ البصيرة؛
- أن يكون عادلاً وحكيماً في قراراته.

ومن شروط الانتماء لحلقة العزابة، التي وجب توفرها في العزاب أو عالم الدين الإباضي ضرورة تمتعه بالاستقلالية الاقتصادية فلا بد أن يعمل من يده ويكسب قوت

1 بغني عيسى مسعود، معجم الألفاظ الشاملة، د م، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، د س، ص 120.

2 إبراهيم بحاز، القيم القرآنية في المجتمع الميزابي: العزابة نموذجاً، مرجع سابق.

يومه من الفلاحة أو حرفة ما، إضافة لذلك فإن أفراد العزابة لهم ملابس خاصة يرتدونها تعبيراً عن الزهد والتصوف ويتكون لباسهم من قطعة صوف منسوجة من الصوف البسيط كزي رسمي وجب على العزاب الحفاظ عليه، وهذا دلالة على الزهد والعزوف والابتعاد عن مشاغل الدنيا وملذاتها الفانية وعدم التردد على الأسواق والمحلات للحفاظ على قدره ومكانته بين الناس. وتشهد قرى وادي ميزاب حلقة العزابة الديني والاجتماعي، ولا وجود لمسجد لا يتبع المذهب الإباضي دون توفره على حلقة العزابة، فهي بمثابة الركيزة والدعم في مناطق ميزاب منذ عدة قرون كمرجع وإطار فكري وسياسي في الرخاء والشدة والأزمات.¹

وفي ذات السياق؛ يكون للحلقة الحق الكامل في اختيار أعضائها، ويتم اختيار شخص من كل عشيرة، يتصف بالصلاح وبالرزانة والثبات ومن أهل الحق والخبرة والصلاح. وتتألف الحلقة من اثني عشر عضواً يتمثلون في: الإمام والمؤذن وثلاثة لتحفيظ القرآن للصبيان في المحاضر، وخمسة لغسل الموتى ووكيلان على مال المسجد.²

للعزابة قانون يضبط تعاملاتها، وقد نص هذا القانون على أن تشمل كل قرية على حلقة للعزابة، مع ضرورة مراعاة شروط الانضمام والعضوية قدر الامكان، ثم مجالس على مستوى المناطق تمثل فيها حلقات القرى والمدن ومن مجالس المناطق يكون مجلس أعلى للعزابة، يطلق عليه " الهيئة العليا للعزابة " برئاسة شيخ العزابة الذي يُعد بمثابة الإمام المشرف على الاجتماعات التي تعقدها الحلقة متى اقتضت الحاجة لذلك، وهو منتخب ويسمى أيضا شيخ العزابة، حيث يكون أكثر أهل القرية أو القصر علماً وذكاء وكفاءة وخبرة ودراية، وهو يرأس الهيئة في كل جلساتها، ويمثلها في كافة أعمالها ويتكلم باسمها، وينفذ قراراتها ويقوم بالإشراف على جميع شؤون المجتمع الميزابي. وتنظر الهيئة في المسائل والأحداث الكبرى التي تواجه المجتمع الميزابي لمحاولة إيجاد حلول لمختلف تلك المشاكل.

وفي ذات السياق تمّ وضع قوانين صارمة وضابطة لمعاقبة كل من يخرج من أعضائها فإن ارتكب أي عضو مخالفة يتم معاقبته وتأديبه وذلك حسب الخطأ الذي اقترفه. ولأفراد

1 محمد ناصر ، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، د م ، مكتبة الضامري، 1983، ص 17.

2 محمد ناصر ، المرجع نفسه، ص 17.

العزابة مكانة كبيرة في نفوس المواطنين، وهذا لسلوكهم الايجابي والصفات الحميدة التي يتحلون بها وتفانيهم وإخلاصهم في خدمة المصلحة العامة وتحقيق أهداف المجتمع، فكل القرارات والتوصيات التي تصدر عنهم تنفذ بدقة ويتم العمل بها عن قناعة تامة، وفي حال مخالفة الجماعة يتم معاقبة الشخص بالابتعاد عنه وتبرؤ كل المؤمنين منه، وقطع كل الصلات والعلاقات معه لغاية رجوعه لطريق الحق وحياة الجماعة وإعلان التوبة والندم.¹

هذا وقد تطور نظام العزابة على مر العصور ليصبح النواة الأساسية للمجتمع المزابي، وبمرور الوقت تمت توسعة هذا النظام وإضافة بعض الصلاحيات إليه، إذ غدت الحلقة متصدرة للمجتمع المزابي وتسوس شؤونه وتشرف عليه لتشكيل سلطة عليا لها اختصاصات واسعة. هذا ويظهر السبب الرئيسي في تشكيل وتكوين حلقة العزابة في أن السلطة كانت بأيدي رؤساء العشائر، وبعدها تحول مركز السلطة في القرية إلى الهيئة الدينية، وبعدها انتقلت إلى حلقة العزابة، ويتشكل هذا النظام المحكم من: مجلس العزابة وهيئة العزابة، فهذه الهيئة تحكمها قواعد وضوابط دقيقة وهذا للحفاظ على الهيئة وضمان استمرارها.²

فالعزابة هيئة دينية تظهر وتتأسس في كل قرية أو مدينة من واد ميزاب، ويكون المسجد مقرها الدائم، وجاءت لتعوض قيادة الأمة أو المجتمع بعد انهيار الدولة الرستمية في تمهت ونزوح الإباضية للجنوب الجزائري ليستقروا بـ وارجلان (ورقلة حاليا) وبمنطقة وادي ميزاب. ولهذه الحلقة تعاليم وقواعد ومنهج وتقالييد خاصة تطبقها وتحكمها؛ فهي تشكل النظام الداخلي الذي يتولى تقسيم المسؤوليات بين أعضائه والإشراف على شؤون المجتمع المزابي الإباضي. فقد ابتكرها الإباضية لتكون بمثابة الركيزة والدعم الأساسية للإشراف على الشؤون الاجتماعية وخدمة البلاد والعباد والحفاظ على الحضارة المزابية،

1 الأنظمة الاجتماعية بميزاب، متوفر على الرابط: <http://mzab.50megs.com/pol.htm> بتاريخ: 2019/07/30.

2 يُعد نظام العزابة من أكثر الأنظمة الاجتماعية الدينية ثباتا واستمرارا في العالم، متوفر على الرابط: <https://nir-osra.org>

حيث لايزال هذا النظام قائما إلى اليوم في جميع قرى وادي ميزاب ووارجلان (ورقلة حاليا)، لإدارة شؤون المجتمع والاشراف عليه تحقيقا للمصلحة العليا.¹

- المحور الثاني: حلقة العزابة ودورها في تأمين التماسك الاجتماعي وبناء الحضارة الميزابية:

حلقة العزابة أو الهيئة كما يتم تسميتها عدة أدوار ومهام تضطلع للقيام بها لتأثيرها الكبير على المجتمع المزابي وتراثه، ودورها الفعال في حل مشكلاته والاهتمام بشؤونه، خاصة وقت الأزمات، التي قد تعصف باستقراره ليجد السند والدعامة والركيزة التي تقف صامدة في وجه كل تلك المتغيرات.

وتولى حلقة العزابة عدّة وظائف؛ الأمر الذي أكسبها العديد من الصلاحيات، كالتشريع والتنفيذ والحكم وإصدار القرارات، حيث قادت ووجهت وسطرت أوجه الحياة لدى المجتمع المزابي، منذ تشكّله ، وخاصة في فترة الاحتلال الفرنسي الذي حاول طمس ومحو هوية الأمة الجزائرية بمختلف أطيافها، ولا زالت هذه الحلقة تقوم بأدوارها التربوية والدينية والاجتماعية إلى غاية اليوم. ومن جملة المهام التي تؤديها:²

- المحافظة على قيم المجتمع وتماسكه وبقائه صامدا في وجه المتغيرات الراهنة؛
- الحفاظ على تعاليم الدين الإسلامي والعمل بمبادئ الشريعة الإسلامية والتقاضي وفقا لضوابط الشرع؛
- الحفاظ على تعليم القرآن وتحفيظه والعمل بمبادئه وزرع كتاب الله في نفوس الصغار والكبار؛
- الحفاظ على قيمة المرأة وطهارتها وعفتها، كونها أصل البناء الاجتماعي، حيث أسست لها عدة هيئات لبحث شؤون المرأة من قبل المرأة نفسها، وذلك على شكل ندوة سنوية تعرف باسم: " سيوت لا إله إلا الله"³؛

1 صالح بن عمر اسماوي ، المرجع السابق ، ص 53 وما يلها.

2 المرجع نفسه.

3 يقصد بها المؤتمر السنوي الذي تجتمع فيه كل نسوة البلد يقرآن القرآن ويتدارسن معانيه ويتبادلن النصح والإرشاد والموعظة وحل مشاكل المرأة الميزابية.

- تعتبر الهيئة مرجعا هاما للفتاوى والشورى؛
 - حافظت على الهيئات التي انبثقت عنا كهيئة "إبروان" * وهم من حفظة القرآن الكريم، و"الكُرثي" ** و"العشائر"، و" أمناء العرش " الذين يقومون بعدة مهام للحفاظ على الدور الفعال للحلقة؛
 - المساهمة في بناء جمعيات خاصة بالشباب لتوجيههم وإرشادهم، وجمعيات الأحياء ك" تيسكريوين" ¹؛
 - ساهمت بدورها في الحفاظ على الأوقاف الموروثة من الماضي، لتستثمرها خدمة للصالح العام، خاصة في مجال التعليم والتربية لتبقى مستمرة ليومنا هذا؛
 - الإسهام في محاربة الاستعمار الفرنسي ومواجهة كل عاداته وسد الطريق أمامه لكي لا يؤثر على عادات وأعراف وتقاليد المجتمع الميزابي.
 - تهدف الحلقة لإصلاح الشباب وحثهم على اتباع الدين الإسلامي والاهتمام بما ينفع الأمة والابتعاد عن الممذات والآفات؛
 - الإشراف على التعليم والعمل واثاحة الفرصة لكل المتعلمين ليحصلوا على كامل حقوقهم كما تهتم أيضا بمساعدة طلاب العلم في المعاهد والجامعات وتقديم الإعانة والمساندة المالية والمعنوية للباحثين لمزولة دراساتهم خارجا؛
 - الإشراف على العلاقات الخارجية ودعم التعاون بين المجموعات الإباضية وتنظيم العلاقات في حالي الرخاء والشدة.
- وفي سياق الحديث عن حلقة العزابة، ذكر الباحث محمد ناصر قائلا: " كانت المسؤولية هي أهم ما تقوم به في عهود نشأتها الأولى، بل إن تربية النشء والعناية بتحفيظهم

* إبروان، جمع كلمة " إيرو"، وهو لفظ أمازيغي يقصد به طالب العلم الذي حفظ القرآن الكريم وتفرغ للدراسة غالبا، ويتشكل من مجموع هؤلاء الطلبة هيئة إبروان، وهي القوة المساندة للعزابة.

** المجلس الذي اتخذ من روضة باعبد الرحمن الكرثي في بلدة مليكة بمزاب الجزائر مقرا له، وسعي نسبه له، ومجلس الكرثي تمثيلي، يضم ممثلي هيئات العزابة في قرى مزاب.

1 يشير مفهوم كلمة تيسكريوين، وهي جمع كلمة تاسكرا، التي يقصد بها جمعيات الأحياء.

القرآن الكريم، وتعليمهم اللغة العربية والشريعة الإسلامية، كانت المهمة الوحيدة التي قامت لأجلها الحلقة، ذلك أن التربية من بين أهم آليات تنشئة الأجيال المسلمة عقيدة وعملا..."¹.

وما لبثت أن عرفت تطورات متلاحقة لتشكل أنموذجاً فريداً من نوعه يتسم به المجتمع الإباضي دون غيره من المجتمعات، ويشكل عمق التاريخ والحضارة الإباضية. ويمكن التفصيل في المهام التي تقوم بها الهيئة؛ كالآتي:

1. المهام الدينية: تتولى هيئة العزابة إصدار الفتاوى وفض النزاعات بين المتخاصمين، فأفراد المجتمع الميزابي عادة لا يلجؤون إلى المحاكم لفض منازعاتهم، بل يلجؤون للحلقة لحل خلافاتهم، على غرار إصدار الأحكام. بالإضافة إلى تعليم القرآن حفظاً وتلقيناً، وتعليم الصلاة بالطريقة الصحيحة للبالغين، وتعرف الحلقة في أوساط العامة من الميزابيين إلا في هذا الجانب، حيث تزدهر حلقات ومجالس العلم وتبادل الآراء والخبرات، والنصح والإرشاد والوعظ والتذكير وتلاوة القرآن الكريم والحث على تعاليم الشريعة الإسلامية.

2. المهام التشريعية: وهي بمثابة السلطة التشريعية: ويظهر هذا في مجلس "عبي سعيد"، وهو الهيئة التشريعية الذي يتكون من قضاة البلاد وعلمائها، وهو أعلى سلطة دينية واجتماعية في جميع قرى ميزاب، ويتم عقد المجلس كل ثلاثة أشهر لتدارس الأوضاع السائدة في وادي ميزاب، ويصدر قوانين وأحكام قضائية في الجرائم والجنایات والمعاملات؛ وفقاً للفقهاء الإسلامي (الإباضي)، وللمجلس قوانين وقواعد مدونة، تسمى باتفاقات وادي ميزاب.²

3. المهام الاقتصادية: وهي بمثابة السلطة الاقتصادية لوادي ميزاب، حيث تشرف الحلقة أو الهيئة أو نظامها على رعاية حياة الأسر من الجانب الاقتصادي، والمتمثل في جمع ودفع أموال الزكاة ولا يتم توزيعها إلا على مستحقها فعلاً والذي يجب أن يكون محافظاً على دينه وصلاته وطهارته، هذا وتشرف الهيئة على الزواج ونفقاته وتحديد مبالغ المهور مع تعميمها على مختلف شرائح المجتمع، دون المغالاة فيها، حيث لا يجد الأغنياء بُدأ لرفع المهور لكي يستطيع الشباب الزواج ولا يجدون تحرجاً فيه ومساعدة الفقراء على إكمال نصف دينهم، كما تهتم بتحديد نفقات الكفالة

1 محمد ناصر، المرجع السابق، ص 17 وما بعدها.

2 العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، بتاريخ: 2019/07/29. متوفر على الرابط: [https://nir-](https://nir-osra.org)

[osra.org](https://nir-osra.org).

والحضانة. هذا وتشرف العزابة على الأسواق العامة في قرى ومدن ميزاب؛ كمرقبة الأسعار والسلع. وكان رئيس حلقة العزابة في السابق، هو الذي يتولى بنفسه مهمة افتتاح السوق بواسطة المنادي، تكبيرا وبسملة وتهليلا وتحميدا، هذا وفي حال وقع نزاع أو مشادة؛ تتولى العزابة الفصل فيه وحل الخلاف بين المتخاصمين ومراضاة أطراف النزاع.

4. المهام الاجتماعية: تتولى الحلقة الاهتمام بالجانب الاجتماعي للمجتمع الميزابي، وذلك من خلال الإشراف العام على كل ما له صلة بالمجتمع الإباضي كالزواج والمعاملات المدنية، والإشراف على اللباس والبناء وشروط الحياة الميزابية. هذا وتضطلع الهيئة بتفقد أحوال الناس ومد يد العون والمساعدة للمحتاجين، وذلك من خلال ميزانية الحلقة أو المتبرعين ميسوري الحال.

5. يظهر جليا مدى الدور المؤثر والفعال الذي تلعبه وتؤديه هيئة العزابة من خلال مساهمتها في تطوير وترقية المجتمع الميزابي على مختلف الأصعدة. ولعل تحفيظ القرآن وتعليم الصلاة وضبط النشأ منذ الصغر على تعاليم الدين الإسلامي وحثهم على تطبيق مبادئه، يعتبر لب وجوهر البناء الاجتماعي بكل مقوماته، ذلك أن صلاح السيرة وعفة النفس وسمو ورفعة الأخلاق والطهارة والتمسك بتعاليم الدين واتباع سنة المرسلين، يعطينا أفرادا صالحين في المجتمع يخافون الله ويتحلون بالإيمان؛ فهم أولى وأحق ببناء مجتمع متماسك قوامه العدل والصدق والإيمان والتضامن والتكافل والتآخي ليتحول المجتمع الميزابي إلى أسرة مصغرة ذات شأن واهتمام موحد.

خاتمة

ومن خلال ما تقدم، يمكن القول بأن حلقة العزابة تُعد من أهم وأعلى وأشهر الهيئات الدينية والسياسية في منطقة وادي ميزاب، وذلك انطلاقا من دورها الجوهرى الفعال والمؤثر في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، كما عملت على الحفاظ على المجتمع وتأمين تماسكه واستقراره في وجه التحديات التي فرضتها قيم العولمة والحضارة، وحمته لقرون وسنوات طويلة ولازالت تؤمن التماسك الاجتماعي والثقافي من خلال دورها الحضاري، والاجتماعي، والديني والتربوي، والتوعوي إلى غاية يومنا هذا، صامدة في وجه التغيرات والتحولت التي مسّت مختلف مناحي الحياة.

المراجع المعتمدة في البحث:

1. اسماوي صالح بن عمر، العزابة ودورهم في المجتمع الإياضي بميزاب، بتاريخ: 2019/07/29. متوفر على الرابط: <https://nir-osra.org>.
2. اسماوي صالح بن عمر، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية في وادي ميزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1986-1987.
3. الأنظمة الاجتماعية بميزاب، متوفر على الرابط: <http://mzab.50megs.com/pol.htm>.
4. بحاز إبراهيم وآخرون، معجم مصطلحات الإياضية، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ج2، سلطنة عمان، مسقط 1429هـ/2008م.
5. بحاز إبراهيم، القيم القرآنية في المجتمع المزابي: العزابة نموذجاً، متوفر على الرابط: <http://www.ayanemzabghardaia.org>.
6. بغني عيسى مسعود، معجم الألفاظ الشاملة، د م، منشورات مؤسسة تاولت الثقافية، دس.
7. بن سعدون المنير بن عبد الحميد، التربية الإسلامية في السير الإياضية أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي نموذجاً "، تقديم فضيلة الشيخ إبراهيم محمد طلاي، ط1، نشر مؤسسة الشيخ ناصر للكتاب، غرداية، 1440هـ/2019م.
8. ناصر محمد ، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، مكتبة الضامري 1410هـ/1983م.